الوقف الهبطي في المصحف المغربي
أسسه المعرفية وأبعاده الدلالية

بقلم
أ/ إدريس ريمي(*)

ملخص

يهدف هذا البحث إلى بيان جهود العلامة محمد بن أبي جمعة الهبطي في خدمة المصحف المغربي من حيث وضع أوقافه .

ونظرا لأهمية هذه الشخصية، حيث لم أجد مصحفا في شتى بلدان المغرب الإسلامي خلا من تدوين اسمه والاعتماد على وقفه، فقد عرّفت به وهذا لمـّا وجدته مغمورا غير آخذ حقه من التعريف الكامل في كتب التراجم، ثم وضَّحْتُ أهم الأسس المعرفية والأبعاد الدلالية التي اقترنت بهذه الأوقاف .

اعتمد الهبطي في أوقافه على أصول لغوية بيانية، وأسس عقدية فقهية، كما اعتمد في وضع أوقافه على أقوال علماء التفسير، وبنى الكثير من أوقافه على المنهج التعليمي للقرآن الكريم المعروف في المدرسة القرآنية المغربية .

الكلمات المفتاحية: الوقف – ابن أبي جمعة – المصاحف المغربية – الأسس المعرفية .

مقدمة

اعتنى المسلمون بالوقف القرآني منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد تلقُّوْ القرآن من فمه الشريف غضا طريا كما أنزل، وهكذا تعلّموا أحكامه من الحلال والحرام، كما تعلموا إتقان تلاوته وحسن بيان آياته، وانشغلوا بمعرفة قواعد الحفاظ على حسن سبك الآيات ومرعاة فواصلها، ، وذلك عن طريق حسن الوقوف على الآيات ومرعاة معانيها .

(*) أستاذ مساعد "أ" بقسم الحضارة الإسلامية ـ معهد العلوم الإسلامية ـ جامعة الوادي..
rimidris@gmail.com

فقد بدأت الدعوة لعلم الوقف منذ عهد الصحابة، يدل على ذلك قول ابن عمر: « لَقَدْ عِشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا، وَأَحَدُنَا يُؤْتَى الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ، وَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَتَعَلَّمُ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا، وَآمِرَهَا وَزَاجِرَهَا، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهَا، كَمَا تَعَلَّمُونَ أَنْتُمُ الْيَوْمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ لَقَدْ رَأَيْتُ الْيَوْمَ رِجَالًا يُؤْتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ، فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ مَا يَدْرِي مَا آمِرُهُ وَلَا زَاجِرُهُ، وَلَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهُ، فَيَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقَلِ»[1]

ففي الحديث إشارة واضحة إلى مراعاة سنن العرب في كلامها عند تلاوة أفصح نص عربي وهو القرآن الكريم، فقد عهدت العرب في كلامها الوقف في أشعارها حتى تستبين معاني الكلام[2]

ونظرا لما تميّز به المصحف المغربي من وقف عرف بالوقف الهبطي، هذا الوقف الذي تلقاه المغاربة بالقبول، وأثبتوه في مصاحفهم، والتزموا به منذ قرون في تلاوتهم للقرآن الكريم ، أردت التعريف بأبي عبد الله محمد بن أبي جمعة الهبطي، الذي لم يحض بترجمة وافية في كتب التراجم والتي اقتصرت في غالبها على ذكر اسمه ووفاته دون زيادة ، ثمّ درست هذه الأوقاف وبيّنت أصولها المعرفية وأبعادها الدلالية عن طريق التحليل والتأصيل من كتب التفسير ومصادر الوقف والابتداء .

المبحث الأول: التعريف بأبي عبد الله محمد بن أبي جمعة الهبطي[3]

1ـ اسمه ونسبه وكنيته: هو العلامة محمد بن أبي جمعة، وكنيته أبو عبد الله، أما نسبته التي اشتهر بها فهي الهبطي ويقال الهبطي الصماتي بضم المهملة نسبة إلى صماته قبيلة جبلية بالمغرب الشمالي والهبطي بفتح أوله نسبة بلاد الهبط في الشمال المغربي [4]

2ـ مولده ونشأته وشهرته: لم تسهب كتب التراجم في تفاصيل حياة ابن أبي جمعة الهبطي، ممّا يسبب للباحث عسرا ومشقة في جمع أجزاء الترجمة، فالرجل مع شهرته العالية، ومكانته العلمية الرفيعة، وعمله الجليل الذي قدمه للمصحف الشريف، إذ لم يخل مصحفا مغربي من كتابة اسمه أو الإشارة إلى وقفه، ومع ذلك يقابل بالصمت التام في مصادر سير أعلام المغاربة، فهو مشهور بعمله مغمور في سيرته .[5]

والذي اتضح لي من خلال مصادر ترجمته أن الهبطي ولد في منتصف القرن التاسع الهجري[6] ، بقرية هباطة المنتمية لقبيلة صماته المغربية، فحفظ القرآن الكريم في قريته على طريقة المغاربة في الكتاتيب القرآنية[7]، إذ هي المدرسة الأولية التي يتلقى فيها المغاربة، القرآن الكريم، ومبادئ

علوم اللسان العربي.

نشأ الهبطي وعاش في العصر الوطاسي، وهو عصر ازدهر فيه المغرب الإسلامي فكانت فاس موطن للعلماء والأدباء والفقهاء والمؤرخين فرحل إليها وتتلمذ على علمائها ليكون بعد ذلك من أبرز أعلامها، يقول الدكتور سلمى عمر السيد متحدثا عن الحياة العلمية في العصر الوطاسي "شهدت العلوم الدينية نشاطا ملحوظا، وبرز عدد كبير من العلماء في المجالات كافة، منهم: "أبو عبد الله بن أبي جمعة الهبطي صاحب كتاب الوقف في القرآن الكريم"[8] برع الهبطي في النحو والفقه والفرائض والقراءات، واختار أن تكون مهمته تعليم القرآن الكريم وتلقين روايته وتعليم الناس الوقف الصحيح، وهو بذلك منفذا لقول رسول الله ﷺ: ""بلغوا عنِّي ولو آية "[9] ونظرا لمجهوده المميز في خدمة كتاب الله بقي اسمه في المصحف مرسوما، ووقفه الذي وضعه مع الآيات محفوظا، فكتب الله له القبول واستحسنه المغاربة، وبقي معمولا به إلى يوم الناس هذا .

3 . **شيوخه**: ذكرنا فيما سبق أن عصر الهبطي تميز بوجود طائفة من العلماء المجددين والمبدعين[10]، فقد استفاد من حيوية هذه البيئة العلمية، واحتك بعلماء كان لهم أثر في تنمية معارفه، غير أن كتب التراجم لم تذكر إلا القليل النادر لشيوخه، نذكر منهم أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى الفاسي المالكي الشهير بزروق المتوفى "سنة 899هـ"[11] ومحمد بن علي الخروبي الكبير الطرابلسي الجزائري المالكي المتوفى سنة 963هـ [12] وأبي عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن غازي المكناسي الفاسي المتوفى سنة 919 هـ [13] وعبد الله بن محمد بن ولي الله الغزواني توفي سنة 935 هـ[14]

4. **تلاميذه**: وهم خلق خبير لايمكن أن يحصو عددا إذا اعتبرنا أن من قرأ عليه القرآن فهو من تلاميذه، إلا أنّ من أبرز تلاميذه ممن خصَّ ذكرهم في كتب التراجم أبو عبد الله محمد بن علي بن عدّة الأندلسي المتوفى سنة 975هـ [15] وعبد الواحد بن أحمد الونشريسي الفاسي المتوفى سنة 955[16] ومحمد بن يوسف السنوسي التلمساني المتوفى سنة 895هـ[17]

5 . **مؤلفاته**: على حسب ما قرأته واطلعت عليه في المصادر والمراجع التي عرفت بالعلامة الهبطي أنه لم يكن مهتما بالتأليف، وإنما انشغل بالتعليم وتحفيظ القرآن الكريم، وهو مسلك اتخذه كبار القرآء منذ القرن الأول[18] .

ومما يجدر التنبيه إليه ونحن نتحدث عن مؤلفات الهبطي هو أنه لم يُذكر له من العمل المنجز إلا وقوف القرآن الكريم، فقد اتفق العلماء على اختلاف مذاهبهم على أن الوقف الموجود في المصحف المغربي اليوم هو للهبطي رواية و ووضعا، ولكنهم اختلفوا في ما عرف" بتقييد الهبطي

"وهو الكتاب المنسوب إليه هل هو للهبطي ؟ أم لغيره ؟ ومن خلال الاستقراء يمكن تقسيم آراء المترجمين له إلى أربعة اتجاهات:

الاتجاه الأول:وهم الذين أثبتوا له التأليف ونصوا عليه ونسبوا تقييد وقف القرآن له، ويفهم هذا من خلال عباراتهم كقولهم مؤلف الوقف، أو صاحب وقوف القرآن أو مقيد الوقف أو صاحب التقييد أو نحو ذلك مما يدل على التأليف وإلى هذا ذهب الكتاني في سلوة الأنفاس، والحجوي في الفكر السامي ومحمد مخلوف في شجرة النور الزكية والعلامة المارغني في شرحه على الدرر اللوامع، واختاره من المتأخرين والمحدثين الدكتور مساعد بن سليمان الطيار في دراسته الموسومة وقوف القرآن وأثرها في التفسير، وعليه فهو رأي الأغلبية ممن ترجم له أو كتب في فن الوقف والابتداء.[19]

الاتجاه الثاني: و هم الذين لم يثبتوا له تأليفا أصلا، ويفهم هذا من خلال حديثهم عن الهبطي وترجمتهم له، حيث سكتوا عن عنصر مهم من الترجمة وهو التأليف خاصة وأن الرجل قد عرف بالوقف وشاع اسمه في الأوساط المغربية به، فكلما ذكر الوقف إلا ويكون ملازما للهبطي ومن أبرز هؤلاء أحمد بابا التنبكتي في كتابيه نيل الابتهاج وكفاية المحتاج، و أحمد ابن القاضي المكناسي في درة الحجال.[20]

الاتجاه الثالث: وهم الذين نصوا على أن التقييد الموجود بين أيدي الناس اليوم والمسمى بتقييد وقوف القرآن، إنما هو من عمل تلاميذ الهبطي، الذين تلقوا عنه القرآن ومواضع الوقف، فقد كان يلقنهم الآية ويعلمهم مواضع الأوقاف القرآنية، واستدلوا على هذا بكون النسخ الموجودة متفاوتة من حيث الزيادة والنقصان واختلاف العبارة ونحو ذلك، مما يدل على أن الشيخ كان يملي وكل طالب يكتب حسب استيعابه وطاقته، وإلى هذا أشارت عبارة القادري في نثر المثاني بقوله: "وعنه قُيِّد الوقف"[21].

الاتجاه الرابع: وهو الذي ينص على أن الهبطي أخذ هذه الأوقاف مع شيخه ابن غازي عن الشيخ أبي عبد الله الصغير إذ كان كل من الهبطي وعبد الله ابن غازي قد تتلمذ عليه وكان له تقييد في الوقف فأخذه ابن غازي عن شيخه أبي عبد الله الصغير وأخذه عن ابن غازي الهبطي ثم لقّنه وعلمه للطلبة فباشر تنفيذه وتعليمه حتى عرف به ونسب إليه .[22]

6- **وفاته وثناء العلماء عليه**: بعدما أمضى الهبطي حياته مع القرآن الكريم تعليما وتدريسا التحق بجوار ربه، واتفقت جميع أقوال المترجمين على أنّ وفاته كانت بمدينة فاس سنة ثلاثين

وتسعمائة هجرية 930هـ.

وقد أثنى عنه العلماء ثناء وافرا، وصف بالعلم والورع والتقوى والصلاح، فقال الكتاني معددا مناقبه في سلوة الأنفاس: "الشيخ الإمام العالم العلامة الهمام، الأستاذ المقرئ الكبير، النحوي الفرضي الشهير، والعلم الواضح...عالم فاس في وقته وكان موصوفا بالخير والفلاح والبركة والصلاح ذا أحوال عجيبة وأسرار غريبة ".[23]

وقال الحجوي " الإمام الفقيه النحوي الفرضي الأستاذ المقرئ".[24]

وقال محمد مخلوف في شجرة النور الزكية "الإمام العالم، المتصوف الزاهد، القدوة المتقي العابد.. "[25].

المبحث الثاني: الوقف الهبطي في المصحف المغربي

اهتم المغاربة منذ زمن بعيد بحفظ القرءان وتجويده وإتقانه، وعنوا عناية خاصة بقراءاته، ومعرفة وجوه رواياته؛ وكان لهم في هذا الميدان شأن عظيم، كما اهتموا برسم المصحف وكتابته، وضبط كلماته ووضع أوقافه، ونبغ فيهم علماء كثر أشير إليهم بالبنان[26]، كونوا مدرسة مغربية في الرسم، والخط، والقراءة والوقف[27]، حتى تميز المصحف المغربي عن غيره من مصاحف المشرق بخطه المغربي، والرسم الخاص بالقراءة المغربية، وهي قراءة نافع المنتشرة عند المغاربة، منذ القرن الثاني للهجرة[28] وكان الوقف الهبطي من أهم خصائصه، تمسك به أهل المغرب حتى أصبح "العنوان البارز المميز للمصحف المغربي[29]، والطابع الشخصي للمدرسة القرآنية المغاربية عموما "[30] فقد انتشر في أقطار المغرب الإسلامي جميعها دون استثناء لا يعرفون بديلا عنه، يقول الأستاذ مصطفى بوعزة أما المغاربة فقد تميزوا بوقف وضعه الإمام أبو عبد الله الهبطي ت930، وعرف بالوقف الهبطي. وانتشر في شمال إفريقيا انتشارا واسعا، من ليبيا إلى بلدان إفريقية عديدة دخلها الإسلام"[31] ونظرة واحدة في أي مصحف مغربي تؤكد هذا المعنى، وذلك من خلال التعريف بالمصحف والكشف عن هوية اصطلاحات ظبطه، وعلامات وقفه، وهاهي أهم نماذج المصاحف المغربي نعرض التزامها بالوقف الهبطي للتوضيح.

1/ **المصحف الجزائري:** لعله من العسير جدا تتبع المسار التاريخي لتحديد زمن نسخ المصحف في الجزائر على وجه الخصوص، وذلك على اعتباره مصحفا يمثل نموذجا لإحدى المصاحف البارزة في المغرب الإسلامي، إلا أنه مما عرف عن الجزائريين بداية من القرن التاسع الهجري اهتمامهم بنسخ الكتب الدينية بمختلف تخصصاتها[32]وعنايتهم أكثر بنسخ المصحف الشريف كإحدى الوسائل التعليمية في المدارس القرآنية والكتاتيب والزوايا التي حفظت تراثا ضخما لهذه

المصاحف والكتب[33]، وبعد اطلاعي على بعض المصاحف الجزائرية القلمية المخطوطة، وجدتها تعتمد على الوقف الهبطي[34]، بل إننا نجد نسخ المصاحف وكتابتها باليد على طريقة المغاربة خطا ووقفا، وإقبال الناس على اقتنائها، وحُبِّ القراءة منها، استمر في المدن والقرى الجزائرية حتى بعد انتشار المصاحف المطبوعة .[35]

وأول مصحف يطبع في الجزائر بكامل أجزائه هو الذي خَطَّهُ محمد شرادي[36]، و المعروف بالمصحف الثعالبي الذي طبع سنة 1912[37]، وقد لقي قبولا عند كافة المغاربة وانتشر في الجزائر، وتونس، وموريطانيا[38] وهذا لما اتصف به من الصبغة المغربية الشاملة بامتياز، من ناحية رسمه وخطه وأوقافه، وقد أعجب القراء المغاربة بحسن أوقافه الهبطية مما جعلهم يثنون عليه يقول المارغني: "وقد تأمّلت في بعض المصاحف القرآنية الثعالبية فوجدت أوقافها هبطية صحيحة بعلامة صه"[39]. و بقي يقرأ به عند الجزائريين إلى سنوات متأخرة خاصة عند الأئمة ومعلمي القرآن الكريم لايرضون عنه بديلا باعتباره المصحف المغاربي الأصيل، وهذا الذي جعل وزارة الشؤون الدينية في الجزائر تُقَرِّرُهُ وتعيد طبعه بعد الاستقلال يقول الأستاذ الهادي لعقاب " ولما كان مصحف المطبعة الثعالبية ـ مصحف روردوسي ـ منتشرا بين الجزائريين قد اعتادوه، يحفظون وقفه، ويرتّلون بمضمونه، وكان الخط المغربي معهودا عندهم، رأت الوزارة الإبقاء عليه وتشجيعَ طبعه[40] "

وقد لاحظت عن المصحف الثعالبي من حيث الوقف الهبطي في طبعاته المتتالية ما يلي:

1/ وردت أوقافه هبطية في جميع طبعاته دون استثناء، وهذا لما هو معروف ومنقول بالرواية عن الهبطي، من طرف حفظة القرآن، الذين حفظوا اللفظ والوقف، ولما وجدناه في المصحف الثعالبي على السواء دون خلاف .

2 / أن لجنة مراجعة المصحف لم تصرح بالتزامها واعتمادها على الوقف الهبطي، -مع كونه موجود في المصحف- إلا في النسخة الثالثة منه، حيث ورد قولهم " كتب هذا المصحف الشريف برواية الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد المصري الملقب بورش عن الإمام نافع بن عبد الرحمن المدني، وأخذ هجاؤه وضبطه من منظومة مورد الظمآن للشيخ محمد بن محمد الشريشي ثم الفاسي المعروف بالخراز، واتبعت في عد آياته طريقة الكوفيين، وفي بيان مكيّه ومدنيّه أشهر المصاحف المطبوعة، وفي وقفه ما وضعه الإمام المقرئ أبو عبد الله محمد الهبطي دفين فاس"[41]. والذي ترجح لي بعد استقراء النسخ ومقابلتها، أن ذلك من قبيل الاستدراك للسقط بسبب السهو الوارد

في الطبعات المتقدمة والله أعلم .

وبقيت المصاحف الجزائرية المعبرة عن المرجعية الحقيقية للإقرا ء في الجزائر، والصادرة عن الهيئة الرسمية تعتمد وقف الهبطي، ولعل من أبرزها المصحف الذي كتبه وصممه الخطاط البارع محمد بن سعيد شريفي[42]، والذي يمثل الجمهورية الجزائرية، حيث طبع بإشراف المجلس الإسلامي الأعلى، وتحت وصاية وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، إذ هي التي أذنت بطبعه لدى المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية بالرغاية، ووزّع مجانا مرات متعددة على نفقة الدولة، حتى عمّ على المؤسسات الدينية وهي المساجد والمعاهد الإسلامية والزوايا والمدارس القرآنية، كما منح للأفراد والبيوت والمكتبات الخاصة، وجميع طبعاته في الفترة الممتدة [1979 – 2011][43] وقد ورد في هذا المصحف كجزء مهمّ من التعريف به عبارة " وأخذ بيان وقوفه وعلامته مما اختاره الشيخ محمد بن أبي جمعة الهبطي الصماتي "[44] وهكذا نلاحظ أنّ المصحف الجزائري بقي يعتمد الوقف الهبطي، وبقي أهل الجزائر يراعونه في قراءتهم إلى يوم الناس هذا .

2/ مصحف الجماهيرية العربية الليبية:[45]

هو المطبوع بإذن معمر القذافي رئيس الجمهورية، وبإشراف لجنة من العلماء، وقد كُتِبَ برواية قالون عن نافع من طريق أبي نشيط، وهو المصحف الوحيد في ليبيا على –حسب ما تتبعت –، المعبر عن الوجهة الرسمية للدولة خطّه أبو بكر ساسي المغربي وخلص منه 7يونيو1983م ليكتب معمّر القذافي آخر كلمة منه "والنّاس"، وقد انتمى هذا المصحف بدوره إلى الوقوف الهبطية يدل على ذلك ما ورد فيه تحت عنوان وقوف المصحف الشريف "والوقوف التي اختيرت لهذا المصحف الشريف هي الوقوف الهبطية من وضع العلامة أبي عبد الله محمد بن أبي جمعة الهبطي السماتي المغربي المولود سنة 850هـ والمتوفى سنة930هـ، وهي معروفة لدى أكثر الحفاظ "[46]

3/ مصحف المغرب الأقصى:

أما مصاحف المغرب الأقصى فيكفيها تأصيلا عبارة الكتاني في سلوة الأنفاس في ترجمة الهبطي " واستقر عمل قراء فاس ومراكش وما والاهما من جميع هذا المغرب الأقصى من زمانه إلى زماننا هذا على اعتماد ما قيد عنه من وقف القرآن العزيز"[47] ومصاحف المغرب الأقصى كلها بجميع طبعاتها تعتمد الوقف الهبطي إلى آخر مصحف وهو المطبوع برعاية الملك محمد السادس المسمى "المصحف المحمدي" فقد ورد في ذكر خصائصه " أما مواضع الوقف فقد اعتمد في بيانها على ما عليه العمل عند المغاربة من الأخذ بالوقف المنسوب إلى الإمام الهبطي (ت 930هـ)

لجريان العمل به منذ قرون "[48]

ونظرا لما تقدّم يمكن لنا القول أن المصحف المغربي التزم بالوقف الهبطي، وبرز فيه كإحدى علامته المميزة بدأت منذ القرن العاشر[49] عندما ظهر، وبقي إلى يومنا هذا .

المبحث الثالث: الأسس المعرفية والأبعاد الدلالية للوقف الهبطي

الذي ينظر في أوقاف الهبطي ويتمعن جيدا في مرامي دلالاتها، يجد أن واضعها رصد لها أبعاد لغوية وتفسيرية وعقدية وأصولية فقهية وأخرى تعليمية، ، فالرجل كان عالما بالقرآن وما يتصل به من علوم، كما أثبت بأوقافه كفاءته العالية في التعليم القرآني على طريقة المغاربة .

والذي لا يحسن الاستقراء ولا يتتبّع مواضع الوقف بحسب معانيها في كتب الوقف والابتداء، ومصادر التفسير القرآني قد تدعوه النظرة السريعة على الحكم أنها غير صحيحة، أو أنها غير موافقة لعلم النحو والعربية[50]، أو أنه انفرد بهذا الوقف أو غير ذلك مما يقتضيه الحكم السريع على الأشياء قبل تصورها تصورا كاملا، ودون مراجعة وتأمّل، يقول بن حنفية العابدين: " ومن رأى بعض أوقافه فقد تدعوه النظرة العجلى إلى الحكم بأنها غير سائغة، فضلا أن تكون تامة أو كافية، حتى إذ تأمل السياق أو رجع إلى الكتب المختصة والتفاسير وقف على الوجه الذي اعتمده في وقفه أو علم بأنه مسبوق في ذلك الوقف لم ينفرد به "[51]

ويمكن تقسيم أوقاف الهبطي من حيث مصادرها وأسسها إلى قسمين:

1/ **اختياراته ممن سبقه**: فقد اختار وقوفا سبقه بها كبار النحاة والقراء و المفسرين، فلما أقرّها واختارها، وكانت غير مشهورة عرف بها ونسبت إليه، فمن خلال تتبعي لمصادر الوقف والتفسير اللغوي، وجدت أوقافا كثيرة عرف بها الهبطي وهي في الأصل أوقاف للإمام نافع[52] المدني القارئ "ت169هـ"[53]، أو الضحاك المفسر"ت سنة 105هـ"[54]، أو اختيار نحوي تبناه بعض النحاة كيعقوب بن إسحاق الحضرمي "ت205هـ"[55]، وهذه أمثلة نوضح بها هذه الاختيارات .

قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ، وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 96] .اختلف القراء والمفسرون في الوقف الأنسب لمعنى الآية أيوقف على كلمة "حَيَاةٍ" أم على كلمة "أَشْرَكُوا" وهو خلاف مبني على إعراب الآية[56]، فاختار الهبطي الوقف على "حَيَاةٍ"وهو مذهب نافع رحمه الله [57] المبني على تمام المعنى قال ابن جزي: "من الذين أشركوا ابتداء كلام فيوقف على ما قبله، والمعنى: من الذين أشركوا قوم يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ"[58] وهكذا كان لهذا

الوقف وجه في العربية ذُكِرَ عند المفسرين، ومذهب تبناه أحد القراء السبعة الكبار .

ومن اختياراته أيضا الوقف على قليلا في قوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: 17] اختلف المفسرون في توجيه هذه الآية إعرابا ومعنى[59] ولعل من أبرز معانيها الواردة عن المفسرين، أنهم كانوا قليلا في عددهم، وهذا إذا وقف على "قليلا" وهو وقف وصفه أبو حيان بالحسن[60] وهو مروي عن الضحاك ومقاتل، قال الواحدي: " واختار قوم الوقف على قوله: قليلًا على معنى: كانوا من الناس قليلًا، وهو قول الضحاك، ومقاتل"[61]

وأرى أن المعنى الذي وقف عنده الهبطي، وإن لم يذهب إليه من المفسرين إلا الضحاك ومقاتل، ومع ذلك يؤيّده السياق المبين لأوصاف المتقين في الآية، الذين وصفوا في مواضع أخرى من القرآن الكريم بالقلة في العدد، كقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾ [ص: 24] وهكذا فهو يختار ما يراه مناسبا من أقوال المتقدمين قراء كانوا أو نحاة أو مفسرين .

2/اجتهاداته: وهو قسم كبير من أوقاف ابن أبي جمعة الهبطي، وفي هذا القسم اختار وُقُوفاً خالف فيها المتقدمين، لكنه وقف مُسْتَرْشِداً باللغة العربية، وما قاله المفسرون وعلماء الوقف والابتداء، وكانت لهذه الأوقاف الاجتهادية أسس وأصول عقدية أو تفسيرية أو تعليمية، كما لم تخل أوقافه من الإشارة إلى مذهبه الفقهي، وهو المذهب المالكي المعتمد عند المغاربة .، وفي ما يلي أمثلة نوضح بها أصل هذا الاجتهاد حسب الأسس والأصول المعرفية المتقدمة .

1- ما بني على أساس عقدي: أشارت أوقاف الهبطي إلى معان عقدية تمثل المذهب العقدي الأشعري الذي ينتمي إليه، والمنبثق عن عقيدة أهل السنة والجماعة، ومن أهم خصائص العقد الأشعري نفي ما يدل على ظاهر نصوص الصفات، وذلك بالتأويل وتقديم العقل في تفسيرها[62]، وكان الهبطي من هذه المدرسة العقدية الكلامية، التي انتمى إليها كبار المفسرين كالرازي وأبو حيان وابن عطية، وعبد القاهر الجرجاني وغيرهم من النحاة وعلماء التفسير الذين لم يتخلصوا من الأثر العقدي في التعامل مع النص القرآني إعرابا أو تفسيرا[63]، وما الوقف في حقيقته إلا مظهرا من مظاهر التفسير. و يمكن التمثيل على هذا المنهج في الوقف الهبطي من خلال دراسة النماذج الآتية:

النموذج الأول: وقفه على لفظ الجلالة في سورة الأنعام ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾.[الأنعام:3] من المقرر في علم العربية أن الجار والمجرور هما وعاء الحدث مكانا أو زمانا حيث يتعلقان به لفظا ومعنى قال ابن يعيش في شرح

المفصل: " ليس في الكلام حرف جر إلاّ وهو متعلق بفعل أو ما هو بمعنى الفعل في اللفظ أو التقدير أما اللفظ فقولك: انصرفت عن زيد وذهبت إلى بكر فالحرف الذي هو إلى متعلق بالحرف الذي قبله، وأما تعلقه بالفعل في المعنى فنحو قولك المال لزيد، تقديره: المال حاصل لزيد، وكذلك: زيد في الدار، تقديره: زيد مستقر في الدار أو يستقر في الدار"[64] ويؤخذ من كلامه أن معنى حرف الجر يدل على الظرفية، فهل احتكم المفسرون للمقاييس اللغوية، أم اضطروا إلى التأويل المنبثق عن الفكر العقدي؟

لقد أوّل المفسرون الآية بما يخدم الفكر العقدي حتى بلغت اثنا عشرة قولا [65] أهمها: أن الجار والمجرور متعلقان بصفة محذوفة للفظ الجلالة والتقدير: "هو الله المعبود في السموات وفي الأرض"[66] وإنما ذهبوا إلى هذا التأويل حتى يتماشى معنى النص مع الفكر العقدي عند الأشاعرة الذي يمنع إسناد الظرفية لله تعالى وتخصيصه بمكان معين قال أبو حيان " وَإِنَّمَا ذَهَبَ أَهْلُ الْعِلْمِ إِلَى هَذِهِ التَّأْوِيلَاتِ وَالْخُرُوجِ عَنْ ظَاهِرِ فِي السَّماواتِ وَفِي الْأَرْضِ لِمَا قَامَ عَلَيْهِ دَلِيلُ الْعَقْلِ مِنِ اسْتِحَالَةِ حُلُولِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْأَمَاكِنِ وَمُمَاسَّةِ الْإِجْرَامِ وَمُحَاذَاتِهِ لَهَا وَتَحَيُّزِهِ فِي جِهَةٍ"[67]

وهذه كلها معان لابد لها من الوقف على لفظ الجلالة حتى يصح التأويل والتقدير، كما أن وقف الهبطي على لفظ الجلالة أبرز أن الرجل متشبع بالمعاني النحوية العقدية التي ذكرها النحاة الأشاعرة.

النموذج الثاني: ومن الأوقاف المتعلقة بالجانب العقدي، تمييز الصفات الخاصة بالله تعالى عن غيرها بالوقف عندها وعدم إتباعها بغيرها، كوقفه في سورة البقرة على لفظ الغمام في قوله عزّ وجل: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ، وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [البقرة 110] ففي هذه الآية ورد لفظ الملائكة مرفوعا في قراءة نافع، وهو بذلك يكون معطوفا على لفظ الجلالة، ومن أبرز أحكام العطف في العربية أن يأخذ المعطوف حكم المعطوف عليه معنى وإعرابا، وهذا التوجيه النحوي لا يتفق من ناحية معناه العقدي عند الأشاعرة بالوصل، فكان لابد من الفصل بين إتيان الله وإتيان الملائكة بالوقف، فإتيان الله لا يحمل على حقيقته، فهو مؤول بمعنى آيات الله أو أمر الله، أو عذاب الله وعقابه أو نحو ذلك مما ورد في التفاسير[68]، وأما إتيان الملائكة فيحمل على حقيقته وبعد التأويل يصح العطف لاختلاف المعنى ويكون من باب عطف الجمل، وقد صرح الرازي بذلك في تفسيره قائلا:" أما قوله تعالى: الملائكة فهو عطف على ما سبق، والتقدير: وتأتيهم الملائكة وإتيان الملائكة يمكن أن يحمل على

الحقيقة فوجب حمله عليها، فصار المعنى أن يأتي أمر الله وآياته والملائكة مع ذلك يأتون ليقوموا بما أمروا به من إهانة أو تعذيب أو غيرهما من أحكام يوم القيامة "[69] وهذا التأويل من أجل أن لا تجتمع صفة الخالق مع صفة المخلوقين في معنى الإتيان، ولتجسيد هذه المعاني العقدية أثناء التلاوة قام الهبطي بوضع الوقف[70] في هذه الآية حتى تتميز المعاني السابقة لدى كل من القارئ والسامع. والأوقاف التي أشار فيها الهبطي إلى معان عقدية كثيرة جدا نلاحظها في تخصيصه الوقف على ما يتعلق بالصفات، وتقصير الجمل من أجل توفير معنى الدعاء[71]، والوقف المبني على الاحتراز مما لا يليق بحق الأنبياء والمرسلين[72] عند الوصل، وغير ذلك مما يدرج في باب الاعتقاد.

2 – مابني على أساس تعليمي: أمضى الهبطي شطرا كبيرا من حياته في تعليم القرآن الكريم، وحاول بجميع الأساليب التعليمية والتربوية أن يلقّنه للطلاب[73] غضا طريا كما أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم بطريقة يُجمع فيها بين النطق السليم والمعنى الصحيح، ليحقق قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [البقرة:121]

ومن المعلوم أن من يمارس التعليم في أي مجال يعمل جاهدا من أجل تبسيط مادته العلمية، وتحقيق أكثر فائدة لطلابه، وفي التعليم القرآني عادة ما يواجه المتعلم المبتدئ صعوبة التعامل مع المتشابه اللفظي[74]، فقد ترد الكلمة أو الجملة في سورة، وترد في سورة أخرى تختلف مع الأولى في شيء يسير من تقديم أو تأخير أو حذف أو نحو ذلك، وحتى لا يقع الطالب في الخطأ أثناء مراجعة الآيات وتكرارها وضع الهبطي أوقافا كان الهدف منها حصر المتشابه وتمييزه عن بعضه، ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في البقرة وآل عمران ، ﴿وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 250–251] ﴿وانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: 147–148] حيث نلاحظ التشابه الكبير بين الموضعين، ولتميزه لم يقف في موضع البقرة على الكافرين وجعل الوقف في موضع آل عمران، وأيضا كلمة فاختلط بين موضعي يونس والكهف في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ﴾ [يونس: 24] وقوله:﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ [الكهف: 45] فقد وقف على كلمة اختلط في موضع يونس ولم يقف على التي في الكهف، ولعل هذا أحد الأسباب التي جعلت المغاربة مضرب مثل في إتقان الحفظ، حيث إن وقوف الهبطي تعتبر خريطة ذهنية للمتشابه اللفظي في القرآن الكريم .

ومما يدخل ضمن الأساليب التعليمية التي ارتبطت بالوقف الهبطي، المراجعة الجماعية للقرآن الكريم وهو ما يعرف عند معلمي القرآن الكريم بالتكرار الجماعي أو الحزب الراتب، إذ هي من أهم الطرق التعليمية للقرآن الكريم عند المغاربة، لقد ذكرت لنا مصادر التاريخ أن هذا النوع من القراءة ظهر في بداية العصر الموحدي[75].

ومن أبرز ضوابط التلاوة في هذا النوع من القراءة الاعتناء بالوقف حتى لا تختلط المعاني، فعند القراءة الجماعية الخالية من الوقف تختلط آية الرحمة بآية العذاب، كما يختلط الحديث عن المؤمنين بالحديث عن الكافرين، وكلام الله مع كلام غيره ...وغير ذلك، وقد وقع كل هذا في بداية ظهور القراءة الجماعية، فلما لاحظ الإمام ابن أبي جمعة الهبطي عدم احترام المعاني أثناء التلاوة وضع الأوقاف[76]، فكانت بمثابة الضابط الأساسي للقراءة الجماعية .

ولما كانت رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق هي الرواية المنتشرة عند المغاربة عموما، وفي المغرب الأقصى والأوسط خصوصا، ومن أبرز سمات هذه الرواية كثرة المد وإشباعه طولا بمقدار ستّ حركات في أغلب المدود[77] وكلها تحتاج من القارئ طول نفس مما جعل الهبطي يكثر من تقطيع الجمل بالوقف ما استطاع لذلك سبيلا، وهذا حتى يأخذ القارئ قسطا من الراحة واستعادة النفس، ثم يبدأ القراءة بعد الوقف بنفس وطاقة جديدة، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ، وَاسْمَعُوا، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [المائدة: 108] نلاحظ أنه وقف ثلاث وقفات في هذا الموضع الغرض منها تعليمي وهو مساعدة القارئ لأن يأخذ نفسا جديدا يواصل به قراءته مادام الوقف لا يسبب حرجا، ومثله ما ورد في سورة لقمان عند قوله عز وجل: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ، وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ، إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ، وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ، وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان: 17-18] وهكذا نجده في مواضع متعددة من القرآن يعتمد منهج تقصير الجمل بالوقف ليمكن القارئ من التلاوة الصحيحة ويجنبه الوقف القبيح، وتتعود الجماعة على القراءة الصحيحة يقفون وقفة واحدة، ويبدءون بداية واحدة حال تكرارهم ومراجعتهم دون مشقة وتعب، كما يكسب الوقف في هذا النوع من التلاوة جمالا وبهاء للقراءة الجماعية.

3- ما بني على أساس التفسير: ومن أهم أصول الوقف الهبطي ما بني على أساس تفسيري للآية، فمن الملاحظ أثناء قراءتنا لتفسير القرآن الكريم نجد للآية الواحدة أقوالا متعددة في تفسيرها، وهذا الخلاف ينشأ عادة بناء على مقتضى العمل بالقاعدة النحوية التي فسرت من

خلالها الآية، أو حديث فسّر الآية صححه مفسر وضعفه مفسر آخر، ونحو ذلك من أسباب الاختلاف في التفسير، إلا أن الغالب في اختلاف المفسرين على حسب ما وجدت مبنيا على اللغة[78]، وذلك كاختلافهم في عود الضمير أو اختلافهم في حمل اللفظ على الحقيقة أو المجاز، أو الإ طلاق أو التقييد أو العموم أو الخصوص أو اختلافهم في إعراب الآية أو غير ذلك من المسائل اللغوية، وقد أثّرت هذه الخلافات التفسيرية على الوقف، فكان الوقف القرآني إحدى الصور العملية المبيّنة لبعض الآراء الخلافية في مصادر التفسير، وقد برز هذا واضحا جليا في أوقاف الهبطي كما نراه في الأمثلة والنماذج التطبيقية الآتية:

النموذج الأول:

قال تعالى: ﴿وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا﴾ [آل عمران: 7] وقف الهبطي في هذه الآية على لفظ الجلالة " الله " فدل ذلك على أنه قد أخذ بأحد القولين الوارد في تفسيرها، فقد اختلف المفسرون في بيان معنى هذه الآية بناء على اختلافهم في تعريفهم للمحكم والمتشابه في القرآن الكريم، ويتضح أن أشهر الأقوال فيهما هو أن المحكم ما اتضحت دلالته وفهم المراد منه، وأما المتشابه فهو ما استأثر الله بعلمه، وذلك كحديث القرآن عن الساعة، وخروج المسيح الدجال ودلالة الحروف المقطعة في القرآن الكريم[79]، وقد انقسم المفسرون في فهم الآية إلى مذهبين:

المذهب الأول: وهو من يرى أن تمام الكلام يكون عند لفظ الجلالة "الله " ومعناه أن الله وحده يعلم المتشابه وأن العلماء الراسخون في العلم يقولون ءامنا به وعلى هذا تكون الواو للاستئناف الراسخون مبتدأ خبره"يقولون"[80] وعلى هذا المذهب كبار القراء والفقهاء من الصحابة والتابعيين كما اختاره جمع من المفسرين والنحاة، فكان مذهب أبي ابن كعب ونافع من القراء، ومن المفسرين: ابن عباس وابن مسعود ومن الفقهاء عائشة أم المؤمنين، ومالك بن أنس واختاره الرازي من المتكلمين .ومن النحاة الفراء والأخفش [81]

المذهب الثاني: وهم الذين قالوا أن الواو للعطف وعليه يكون قوله عزّ وجل "الرّاسخون "معطوف على لفظ الجلالة وَهُمْ يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ، وَ: يَقُولُونَ، حَالٌ مِنْهُمْ أَيْ: قَائِلِينَ. وَرُوِيَ هَذَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا، وَمُجَاهِدٍ، واختاره ابن عطية في تفسيره[82]

وعند تأملي لأصحاب المذهب الأول وجدت الإمام مالك، بن أنس ونافع ابن أبي رؤيم و الفخر الرازي، فقد اجتمع في هذا المذهب رواد مدرسة الهبطي فقها وقراءة وعقيدة، فهو على

مذهب مالك في الفقه، وعلى طريقة نافع في القراءة وعلى منهج الرازي في العقيدة الأشعرية. وعليه فقد اتبعهم في التأصيل لهذا الوقف.

النموذج الثاني:

ويتمثل في قوله تعالى:﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل:34] اختلف أهل التفسير في قوله تعالى:﴿ وكذلك يفعلون﴾ هل هو تابع لكلام بلقيس ومن مركبات قولها تأكيدا لما قالته من أمر وحال الملوك أم هو من كلام الله تعالى تصديقا لقولها فعلى المذهب الأول يكون التمام والوقف في يفعلون، وعلى الثاني يكون الوقف عند أذلة حتى نفصل بين قول الله وقول بلقيس .

فقد ذهب ابن عباس إلى أنه من كلام الله فقال: قالت بلقيس: ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ﴾ ، قال الرب، عز وجل: ﴿ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾.[83]

وذهب أبو حيان في البحر المحيط[84] والرازي في مفاتيح الغيب[85] إلى أنه من كلام بلقيس.

وعليه فتمام المعنى يكون في الوقف على "يفعلون" هذا وإن خالف الهبطي بوقفه مفسرين كبار كالرازي وأبو حيان إلا أن اجتهاده في هذا الوقف مبني على أصل تفسيري وهو قول بن عباس[86] ومن هنا يصح لنا القول بأن الهبطي اعتمد على معنى أنه لا حاجة لتأكيد كلامها وقد ذكرت ما أرادت، وإنما يكون تأييد الله لها ليبين لنا القرآن رجاحة عقلها وقوة إدراكها واعترافها بما يفعله الملوك وإن كانت منهم وقد تربت معهم، خاصة إذا وجدنا مثل هذا التعبير في سورة" الأعراف ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ ﴾" تم الكلام، فقال فرعون: ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾[87] وهذا كله مما يقوي رأي الهبطي في وقفه ويبين لنا سعة نظره، واطلاعه على أقوال المفسرين ومقارنتها ليتمكن بعد من الاختيار الأصوب.

ولو بقينا نتتبع الآيات التي أسس فيه الهبطي وقفه على مصادر التفسير لوجدناها كثيرة قد لا يتسع هذا المقال لحصرها وإنما لابد لها من بحث خاص نؤصل فيه وقف الهبطي على أساس التفسير.

4 – ما بني على أساس فقهي أو قاعدة من أصول المذهب المالكي:

عرفنا فيما سبق أن الهبطي مالكي المذهب، وعليه فهو متشبع بآراء المالكية فقها وأصولا، لقد أشارت أوقافه القرآنية في آيات الأحكام إلى ما تقرر في المذهب المالكي واعتمد، سواء في الفروع الفقهية المستنبطة من الأصول، أو في الآيات التي استدل بها المالكية على قواعدهم ونظرياتهم الفقهية، وفي ما يلي تحليل لبعض الأوقاف الهبطية المتعلقة بهذا الأصل وذلك من خلال النماذج الآتية:

النموذج الأول. قال تعالى:﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً، وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور:4-5] تقرر هذه الآية القرآنية حدا من الحدود التي وضعها الله عز وجل وهو حد القذف، وذلك تأمينا لأعراض الناس وحفاظا على شرفهم ويدخل هذا ضمن المقاصد الضرورية في الشريعة الإسلامية [88] وعليه فلا خلاف بين المفسرين للآية من حيث أحكامها أنها تحدد ثلاث عقوبات للقاذف[89] وهي: الجلد وتفسيق القاذف، وإهدار كرامته الإنسانية بعدم قبول الشهادة، واتفق الفقهاء على أن الاستثناء في الآية غير عامل في جلده بإجماع[90] أو بمعنى إذا ثبتت تهمة القذف جُلِدَ القاذف ثمانين جلدة ثم اختلفوا فيما يبقى له من العقوبات بعد حصول توبته، من حيث وصفه بالفسق ورد شهادته وعدم قبولها، فالجمهور ومنهم المالكية غلى أنه إذا تاب زال عنه الفسق وقبلت شهادته، وذهب الحنفية لعدم قبول شهادته، ويرفع عنه الوصف بالفسق

وهذا الاختلاف بين الفقهاء مردّه إلى معنى الاستثناء الوارد في الآية هل يشمل جميع العقوبات المقررة في الجمل المعطوفة قبل الاستثناء أم للأخير[91]، فالشافعية والمالكية يرجعونه إلى الجميع، والأحناف يرجعونه إلى الأخير فقط .

وإذا تأملنا حقيقة وقف الهبطي في الآيات المتقدمة فإننا نجده وضع الوقف على كلمة:"جلدة " ليؤكد مذهب مالك الذي يقول بوجوب حد القاذف وهو رأي الجمهور وعليه الإجماع إلا من شذ من الفقهاء[92] ولم يقف على "أبدا " كما هو مثبت في مصاحف بعض المشارقة[93]، والذي يناسب مذهب الحنفية[94]، وإنما وقف على "غفور رحيم" ليؤكد مذهب مالك في المسألة على أن الاستثناء عامل في قبول شهادته، وانتفاء الفسق بعد التوبة وقد أكد لنا النحاس هذا المعنى بقوله: "ومن قال تقبل شهادته إذا تاب فالتمام عنده "فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ"[95] وهو قول عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ومجاهد وابن عباس ومالك والشافعي وأحمد[96].فأنت تلاحظ في هذه الآية أنه وقف في الموضعين ليبرز القضية الفقهية المقررة في حد القاذف عند المالكية.

النموذج الثاني:

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: 34] استدل المالكية بهذه الآية على وجوب إتمام النفل بعد الشروع فيه، قال القرطبي: "احتج علماؤنا وغيرهم بهذه الآية على أن التحلل من التطوع- صلاة كان أو صوما- بعد التلبس به لا يجوز،

لأن فيه إبطال العمل وقد نهى الله عنه" [97] وعليه فالنهي عن إبطال العمل يفيد من جهة أخرى وعن طريق مفهوم المخالفة الأمر بإتمامه وإكماله،

وعليه يصبح فعل المندوب بعد ابتدائه من قبيل الأوامر المطلوبة من المكلف، كالصلاة والصيام ونحوها مما يجب على المسلم الإتيان بها على أحسن حال، وذلك تنفيذا للأمر وتحقيقا له على حسب ما قرره فقهاء المالكية[98] من أصول وضوابط تتعلق بالفعل المندوب .

وفي الذي تقدم عرفنا ما يستفاد من الآية فقها وأصولا عند المالكية، أما علاقتها بالوقف الهبطي فتتحقق وتتأكد إذا عرفنا أنّ من تمام منهج الهبطي في الأوقاف القرآنية قائم على قاعدة الفصل بين الأمر والنهي[99] حيث كان في القرآن الكريم، ومن أبرز الأمثلة ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال:47] وفي قوله: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا، وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران:103] وقوله: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا، وَلَا تُسْرِفُوا﴾[الأعراف:31] ومن خلال ملاحظتنا لهذه المواضع نجده فصل بين الأمر والنهي بالوقف، ولكنه لم يفعل في موضع سورة القتال، فوصل ولا تبطلوا بأطيعوا فكأنه أراد أن يشير إلى ما اعتمده المالكية، استنباطا من الآية، فأصبح النهي الوارد الآية عنده في صورته العملية أمر لابد من الإتيان، به فكأنه قيل على تقدير أطيعوا الله، وأطيعوا الرسول وأتموا أعمالكم ولا تبطلوها وهو تخريج وتوجيه للوقف لا يُعْرَفْ ابتداء إلا بعد المقارنة بما يشابهه في الذكر الحكيم.

ومن هنا يتبين لنا أن الهبطي من مدرسة مالكية مغاربية لا تفارقه، ويتضح لنا أيضا الربط الدقيق لمعاني أوقافه وإشارتها ومراميها للقضايا الفقهية والأصولية، وهكذا كان شأن العلماء في جميع عباراتهم وأعمالهم المتعددة التي ارتبطت بالنص القرآني تفسيرا وإعرابا ووقفا.

الخاتمة

وبعد هذه الدراسة التي أبرزنا من خلالها شخصية ابن أبي جمعة الهبطي ووضحنا بعض السمات المنهجية والمصادر المعرفية التي اعتمدها في أوقافه، يمكنني أن أذكر أهم النتائج العلمية التي توصلت إليها من خلال هذا البحث وهي:

1ـ استطاع محمد بن أبي جمعة الهبطي بمنهجه المتميز في الوقف أن يُكَوّن مذهبا مستقلا في علم الوقف، به يعرف وإليه ينسب.

2ـ كشف لنا الوقف الهبطي عن هوية مستقلة للمصحف المغاربي، وإبداع معرفي مغربي في علوم القرآن الكريم .أسس الهبطي أحد مظاهره المتميزة والمتمثلة في علامة الوقف لدى المغاربة

3 . لم يعرف المصحف المغربي الرسمي الممثل لهوية دول المغرب الإسلامي بديلا عن الوقف الهبطي منذ وضعه في القرن العاشر إلى يوم الناس هذا ، إذ لا تزال المصاحف المغربية تعتمد في بيان وقوفها مما اختاره الشيخ محمد بن أبي جمعة الهبطي.

4 . مثّلت الأوقاف الهبطية بمجموعها في المصحف المغاربي عملا جليلا ضخما، أبرزت لنا موسوعية الهبطي المعرفية، وأكّدت اطلاعه على علوم شتى لها علاقة بفن الوقف والابتداء كالتفسير والنحو والفقه والعقيدة لتخرج لنا بهذا الشكل المتميز، إذا لا يمكن أن يقوم بهذا العمل **وهو وضع الأوقاف في المصحف. إلا هيئة علمية، ولجان متخصصة ومتكونة من علماء وباحثين** في فن القراءات وعلوم القرآن الكريم، كما هو موجود في وضع أوقاف مصحف المدينة وغيرها **من مصاحف المشارقة.**

5 ـ لم تتعارض الأوقاف الهبطية على ما قررته قواعد العربية، ولم تتعارض أيضا مع ما ذكر من أوقاف في مصادر علم الوقف والابتداء، وكان لأوقاف الهبطي أصل ثابت في أقوال المفسّرين والفقهاء، وهذا يؤكد أصالة معرفية للوقف الهبطي ويبرز لنا دقة ضبطه وحسن اختياره، وينفي **ما قيل عن هذه الأوقاف من ضعف أو شذوذ.**

6 . أعطى الوقف الهبطي أبعاد دلالية ونحوية، وزاد عنها معاني عقدية، وإشارات تفسيرية **عرفنا من خلالها مذهب الهبطي عند اختلاف المفسرين للآية، كما استطاع الهبطي من خلال أوقافه أن يعبر عن المرجعية الفقهية المعتمدة لدى المغاربة المتمثلة في الفقه المالكي.**

ـ الهوامش:

1. الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، حديث رقم:101، كتاب الأيمان، وقال حديث صحيح على شرط الشيخين، انظر: المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، ط:1، القاهرة، دار الحرمين للطباعة والنشر، 1417هـ 83/1.

2. يدل على ذلك ما نقله الجاحظ في البيان والتبيين في رواية عن بعض بلغاء العرب وهو شبيب بن شيبة بن الأهتم الذي يقول: «الناس موكّلون بتفضيل جودة الابتداء، وبمدح صاحبه، وأنا موكل بتفضيل جودة القطع، وبمدح صاحبه. وحظ جودة القافية وإن كانت كلمة واحدة، أرفع من حظ سائر البيت» انظر: البيان والتبيين، عمر بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، لاط، بيروت، دت 112/1 .

3 – انظر ترجمته في: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس، محمد بن أبي جعفر الكتاني، تحقيق الشريف محمد بن حمزة الكتاني، ضمن الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس –4– 2/ 75، وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد مخلوف، ط: 1، بيروت دار الكتب العلمية 1424هـ، ص400 ونثر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، محمد بن الطيب القادري، تحقيق، محمد حجي وأحمد توفيق، لاط، الرباط، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1397 هـ 1/ 35، ونيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التنبكتي، ط:2، طرابلس، دار الكاتب، 2000م، ص 586، ودرة

الحجال في أسماء الرجال، أحمد بن محمد ابن القاضي المكناسي، تحقيق د . محمد الأحمدي أبو النور، ط: 1 القاهرة، دار التراث، 1391هـ 1/ 152، وجذوة الاقتباس أحمد بن القاضي المكناسي، لاط، الرباط، دار المنصور للطباعة، 1973م ص 321 والفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، محمد بن الحسن الحجوي، ط: 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1416هـ 2/ 315 والقراء والقراءات بالمغرب، سعيد اعراب، ط:1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1410هـ ص 176، وقراءة الإمام نافع عند المغاربة، عبد الهادي حميتو، لاط، المملكة المغربية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1424هـ 4/ 187 .وكفاية المحتاج، أحمد بابا التنبكتي تحقيق محمد مطيع، لاط، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1421هـ 2/ 221.

4 – انظر وصف إفريقيا للحسن بن محمد الوازن الفاسي، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط:1، بيروت، دار الغرب الإسلامي 1983، 1/ 320.

5 – وهذه عادة المغاربة في التعامل مع أعلامهم على خلاف المشارقة، مما جعل بعض الباحثين المعاصرين المغاربة يتذمرون انظر تاريخ الجزائر الثقافي، بلقاسم سعد الله، ط: 1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998، 1/ 59 وانظر قراءة نافع عند المغاربة، عبد الهادي حميتو، 4/ 189.

6 – وهذا على حسب ما ذكره سعيد أعراب في كتابه القراء والقراءات بالمغرب ص 176.

7 – حول طريقة المغاربة في التعليم القرآني انظر: المقدمة، ابن خلدون، ط:1، بيروت، دار الفكر، 1401، ص 741، وانظر تاريخ الجزائر الثقافي، بلقاسم سعد الله 1/ 332.

8 – انظر: بنو الوطاس في المغرب، د . سلمى عمر السيد، بحث ضمن منشورات كلية الآداب قسم التاريخ، جامعة الخرطوم ص13.

9 – أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، انظر: البخاري، الجامع الصحيح، تحقيق محب الدين الخطيب وآخرون، ط: 1، القاهرة، المطبعة السلفية، 1400، 2/ 493.

10 – أمثال الفقيه أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي صاحب المعيار، والمؤرخ محمد الكراسي الأندلسي، انظر بنو الوطاس في المغرب ص13.

11– انظر: شجرة النور الزكية ص 400، 366، وسلوة الأنفاس 3/ 286، ونيل الابتهاج ص130، وكفاية المحتاج 1/ 126 .

12 – انظر: شجرة النور الزكية ص 400، 411، ومعجم المؤلفين عمر رضا كحالة، ط:1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1414هـ 3/509 وجذوة الاقتباس ص 322.

13 – انظر سلوة الأنفاس 2/ 75، 82، وجذوة الاقتباس ص 320، وقراءة نافع عند المغاربة 4/ 11، 191 ودوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، محمد بن عسكر الشفشاوني، تحقيق محمد حجي، ط: 2 الرباط، دار المغرب للتأليف والترجمة، 1977 م ص 45 وشجرة النور الزكية ص399 .

14 – انظر: شجرة النور الزكية ص400، وطبقات الحضيكي، محمد بن أحمد الحضيكي، تحقيق أحمد بو مزكو، ط:1، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة 1427هـ 2/ 417.

15 – انظر: درة الحجال 2/ 213، وسلوة الأنفاس 3/ 357، وفهرس المنجور، أحمد المنجور تحقيق محمد حجي، لاط، الرباط، دار المغرب للتأليف والترجمة، 1976م ص66.

16 – انظر شجرة النور الزكية ص400، 409 و سلوة الأنفاس 2/ 162وفهرس المنجور ص12، و الأعلام، خير

الدين الزركلي ط:15، بيروت، دار العلم للملايين، 2006م، 4/174 وقراءة نافع عند المغاربة 4/ 195.

17 – هذا وإن كان أكبر منه سنا إلا أنه قرأ عليه القرآن كاملا لأجل الوقف، وفي هذا الباب تذكر كتب التراجم أن سيدي محمد بن يوسف السنوسي التلمساني، كان ديدنه البحث ورواية العلوم وأخذها عن الشيوخ، فما سمع بأحد اختص بفن له فيه باع أكثر منه إلا ذهب إليه وقرأ عليه، حتى يأخذ ذلك الفن من عنده وفي زمنه عرف الهبطي بالوقف وتناقله الناس واهتموا به فقرأ عليه فعد تلميذه من باب رواية الآكابر عن الآصاغر. انظر: سلوة الأنفاس، الكتاني 2/ 77 . وانظر: القراء والقراءات بالمغرب ص 184. وانظر في ترجمة السنوسي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج ص563، والبستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، الشريف التلمساني، لاط، الجزائر، المطبعة الثعالبية، 1226هـ/ 1908م، ص 237 .ودوحة الناشر ص 121، وتعريف الخلف برجال السلف، محمد الحفناوي لاط، الجزائر، مطبعة بيير فونتانة الشرقة، 1906 م 1/ 176 .

18 – فقد روى البخاري في صحيحه عن أبي عبد الرحمن السلمي، أنه كان يقرأ حديث، النبي صلى الله عليه وسلم الذي يقول: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، ويقول: وذاك الذي أقعدني مقعدي هذا" مشيرا إلى كونه جالس في مسجد الكوفة يعلّم الناس القرآن وبقي على هذه الحال أكثر من أربعين سنة ليس له من عمل إلا التعليم . انظر صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه حديث رقم: 5027، 3/ 346. وانظر في ترجمة عبد الرحمان السلمي: غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري ط: 1بيروت دار الكتب العلمية، 2006م 1/ 370 .

19 – انظر: سلوة الأنفاس 2/75 والفكر السامي 2/ 315 وشجرة النور الزكية، ص400 و النجوم الطوالع على الدرر اللوامع إبراهيم المارغني، لاط، بيروت، دار الفكر، 1424هـ، ص253 . وقوف القرآن وأثرها في التفسير لاط، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1431 هـ ص 84.

20 – انظر: نيل الابتهاج 586، ودرة الحجال 1/ 152 .

21 – انظر نثر المثاني 1/ 35 والقراء والقراءات بالمغرب ص 183.

22 – وهذا الرأي على ما فيه من وجاهة إلا أنه انفرد به الدكتور عبد الهادي حميتو انظر: قراءة نافع عند المغاربة. 4/ 192

23 – انظر: سلوة الأنفاس، الكتاني، 2/ 76.

24 – انظر: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، الحجوي، 2/ 315 .

25 – انظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد مخلوف، ص 400.

26 – وهم كثيرون، ومنهم:أبو عمر الداني صاحب المقنع في رسم مصاحف الأمصار و كتاب التيسير في القراءات، ت444هـ، ، وابن بري التازي صاحب الدرر اللوامع، ت730هـ وابن صفار المراكشي ت762هـ وابن غازي المكناسي ت919هـ وكل واحد من هؤلاء يعد مدرسة بمفرده، ثم خلف من بعدهم خلف أثبتو لنا أصالة المغاربة في هذا الفن أمثال إبراهيم المارغني 1349هـ و ابن عاشور صاحب التفسير .

27 – يذكر سعيد أعراب أن استقلالية المغاربة في الرسم والخط والوقف والقراءة بدأت مع العصر الموحّدي، بينما يربط الدكتور حميتو أصول المدرسة القرآنية المغربية بالفتح الإسلامي لهذه الربوع في عهد الصحابة والتابعين . انظر: قراءة نافع عند المغاربة 1/ 31، والقراء والقراءات بالمغرب ص10.

28 – تشير المصادر التاريخية أن الذي أدخل قراءة نافع مع موطأ مالك للمغرب والأندلس هو غازي بن قيس المتوفى سنة 199 هـ، انظر: تاريخ الإسلام، ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين الذهبي، تحقيق بشار عواد

معروف، ط:1 بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2003م 4/ 1179 .

29 – هذه الأوقاف لم تكن مختصرة على المصاحف المطبوعة عند المغاربة، بل كانت ميزة للمصاحف المرتلة المسموعة فإنها بدورها تخضع للمراقبة والمراجعة من طرف المتخصصين في القراءات والترتيل، ولابد للمُرتِّل من مرعاة الوقف المبطي، فقد تتبعت مصاحف مرتلة ومسموعة لقراء مغاربة من أبرزها المصحف المرتل للقارئ الجزائري محمد مقاتلي الإبراهيمي المسجل والمراقب من طرف وزارة الشؤون الدينية 1435ه/2013م. فوجدته يراعي الوقف المبطي .

30 – ينظر: قراءة نافع عند المغاربة 4/189، وانظر: القراء والقراءات بالمغرب سعيد أعراب ص177

31 – انظر:، الوقف المبطي اتباع أم ابتداع، مصطفى بوعزة، رسالة المسجد، العدد الأول، السنة التاسعة، محرم 1432/ جانفي 2011، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائر .

32 – انظر: تاريخ الجزائر الثقافي، بلقاسم سعد الله 1/290.

33 – وقد وجدت مصاحف مخطوطة، وكتب في الفقه والعقيدة بخزانة زواية سيدي سالم العامرة ومنها مصحف كتبه علي بن محمد المعروف سي علي بن رقية وقد أكمله في أوائل سنة 1320هـ انظر الصفحة الأخيرة من المخطوط المذكور الموجود في خزانة المخطوطات زاوية سيدي سالم الوادي .

34 – ومن هذه المصاحف ما وجدته بحوزة الحاج محمد، وشقيقه عبد الله بن موسى، فقد ورثا عن والدهما محمد بن محمد العيد، مصحفا مخطوطا يعود تاريخ كتابته إلى سنة 1233هـ كتبه أحمد بن عيسى، بخط مغربي مبسوط، و وضع فيه علامة الوقف المبطي المشار إليها بـ: ص، في كامل المصحف، على حسب مواضع الأوقاف المبطية المعروفة عند المغاربة .

35 – وهذا يعود إلى اعتقاد فقهي ديني عند الناس عامة، والأئمة وفقهاء ذلك العصر خاصة الذين أفتو بحرمة طبع المصحف، وكذا كتب الشريعة الإسلامية، انظر: تاريخ مطبعة بولاق، أبو الفتوح رضوان، لاط، القاهرة، المطبعة الأميرية، 1953م، ص12، 13 وتاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، 5/ 396، تاريخ طباعة المصحف في الجزائر، عبد الهادي العقاب بحث مقدم إلى الندوة العالمية المنظمة من طرف مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بعنوان: " طباعة القرآن الكريم ونشره بين الواقع والمأمول " المنعقدة بالمدينة المنورة أيام: 3- 5 صفر 1436هـ الموافق لـ: من 25-27 نوفمبر 214 ص396 .

36 – وهو محمد شرّادي المعروف والملقب بالسفطي، ولد حوالي سنة 1865م، كان قيما بمسجد سيدي رمضان بالعاصمة الجزائرية، اشتغل بالخط والنقش على الجلد وتسفير الكتب، تعامل مع المطبعة الثعالبية وكتب المصحف الشريف ثلاث نسخ متتالية " 1912-1937"، كما كتب متن الآجرومية ومتن الشاطبية وغيرها من الكتب التي طبعت في المطبعة الثعالبية في بداية مسيرتها . انظر ترجمته في: اللوحات الخطية في الفن الإسلامي المركبة بخط الثلث الجلي دراسة فنية في تاريخ الخط العربي سعيد شريفي، ط:1 دمشق، دار بن كثير، 1998 ص309، وتاريخ الجزائر الثقافي سعد الله، 8/ 428 وتاريخ طباعة المصحف في الجزائر، عبد الهادي لعقاب ص651.

37 – انظر: تاريخ طباعة المصحف في الجزائر، عبد الهادي لعقاب ص 555.

38 –انظر: تاريخ طباعة المصحف في موريطانيا، أحمد سالم أحمدو، بحث منشور ضمن أعمال "طباعة القرآن الكريم ونشره بين الواقع والمأمول" مرجع سابق، ص702.

39 – انظر: النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع، إبراهيم المارغني ص253.

40 – انظر: تاريخ طباعة المصحف في الجزائر، عبد الهادي لعقاب، ص:657

41 – انظر الصفحة الأخيرة من المصحف المذكور .

42 – هو محمد بن سعيد شريفي، المولود بالقرارة سنة 1935 م، حصل على الدكتوراه من جامعة الجزائر، زخرف العملة النقدية الجزائرية، والشهادات المعبرة عن الجمهورية الجزائرية، له كتابات منها اللوحات الفنية في الخط الإسلامي انظر ترجمته في تاريخ طباعة المصحف في الجزائر الهادي لعقاي ص: 658 .

43 – انظر تاريخ طباعة المصحف في الجزائر، عبد الهادي لعقاب، ص 660 .

44 – انظر: التعريف بالمصحف الوارد في آخره ص ب .

45 – اعتمدت في وصف المصحف الليبي على الملحق المكتوب في آخره.

46 – انظر: الصفحة ط ضمن صفحات التعريف بالمصحف.

47 – انظر: سلوة الأنفاس، الكتاني 2/ 76.

48 – انظر: تاريخ طباعة القرآن الكريم في المغرب حسن إدريس عزوزي بحث منشور ضمن أعمال "طباعة القرآن الكريم ونشره بين الواقع والمأمول" ص461.

49 – بدأت علامات الوقف الهبطي تظهر في المصحف المغربي مشار إليها بعلامة "صه" ابتداء من التاريخ المذكور وهو يمثل ظهور الوقف الهبطي انظر: خطوط المصاحف عند المشارقة والمغاربة من القرن الرابع إلى القرن العاشر الهجري، محمد بن سعيد شريفي لاط، الجزائر، مطبعة أحمد زبانة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982 م ص.344، وانظر:علامات الوقف في المصاحف المطبوعة، رمضان إبراهيم عبد الكريم موسى، بحث منشور ضمن أعمال "طباعة القرآن الكريم ونشره بين الواقع والمأمول" ص1631 .

50 – هذا كما فعل محمد بن الصديق الغماري فقد ضعف وقف الهبطي وذكر أنه لا يرجع إلى قاعدة في وضع الوقف، وإنما يضع الوقف بحسب ما يظهر له، كما وصفه أنه لا يعرف علم النحو والعربية، بل جعل وقف الهبطي من المنكر الذي يجب تغيره وكلام كبير لا يليق بعالم خدم كتاب الله خدمة جليلة.انظر: منحة الرؤوف المعطي ببيان ضعف وقوف الشيخ الهبطي، عبد الله بن محمد الصديق الغماري، لاط، الدار البيضاء، دار الطباعة الحديثة، دت، ص 4، 6، 11، 20، 24.

51- ينظر:منهجية ابن أبي جمعة الهبطي في أوقاف القرآن الكريم، بن حنفية العابدين، ط:1، الجزائر، دار الإمام مالك، 1427هـ ص87.

52 – انظر ترجمته في: غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، ط: 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2006م 2/ 288.

53 – وقد حقق الدكتور عبد الهادي حميتوا هذه المسألة جيدا، وتتبع أوقاف الهبطي التي انتقدت عليه وقرر أنها أوقاف لنافع قبل أن تكون للهبطي، انظر: قراءة نافع عند المغاربة 4/ 203.

54 – انظر ترجمته في: تاريخ الإسلام، الذهبي 3/ 63.

55 – ترجمته في بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط:2، لام دار الفكر، 1979م، 2/ 348.

56 – انظر المحرر الوجيز ابن عطية، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1422هـ 1/ 182، والتسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي تحقيق عبد الله الخالدي، ط:1، بيروت، دار الأرقم، 1416هـ 1/

91.و الكشاف، الزمخشري، ط:3 بيروت، دار الكتاب العربي، 1407هـ، 1/ 200 .

57- انظر: المكتفى في الوقف والابتداء، أبو عمرو الداني تحقيق يوسف عبد الرحمان المرعشلي، ط: 2 بيروت، مؤسسة الرسالة، 1407هـ ص169، والقطع والائتناف، أحمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق عبد الرحمان المطرودي، ط:1، المملكة السعودية، دار عالم الكتب، 1413هـ، ص 71 . والوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم، عبد الكريم إبراهيم عوض صالح، ط:1، القاهرة، دار السلام، 1427هـ ص255 .

58 – التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي 1/ 91.

59 – انظر: البحر المحيط أبي حيان، تحقيق صدقي محمد جميل، لاط، بيروت، دار الفكر، 1420هـ 9/ 551 وجامع البيان ابن جرير الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، لاط، لام، مؤسسة الرسالة، 1420هـ 22/ 406، وروح المعاني، محمود الآ لوسي، تحقيق علي عبد الباري عطية ط: 1، بيروت دار الكتب العلمية، 1415هـ 9/ 14 .

60 – انظر: البحر المحيط، أبو حيان، 8/ 134. وقال الداني وقف تام انظر: المكتفى ص 536.

61 – انظر: التفسير الوسيط، أبو الحسن الواحدي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط:1، بيروت، دار الكتب العلمية 1415هـ 4/ 175.

62 – انظر: حاشية البيجوري على جوهرة التوحيد، تحقيق علي جمعة، ط: 1، القاهرة، دار السلام، 1422هـ ص 156

63 – انظر: الأثر العقدي في تعدد التوجيه الإعرابي لآيات القرآن الكريم، محمد بن عبد الله بن حمد السيف ط: 1، السعودية، دار التدمرية، 1429هـ 1/ 18 انظر:

64 – انظر: شرح المفصل، موفق الدين ابن يعيش النحوي، لاط، بيروت، عالم الكتب، دت، 8/9.

65 – انظر: الأثر العقدي في تعدد التوجيه الإعرابي لآيات القرآن الكريم، محمد بن عبد الله بن حمد السيف 2/ 799.

66 – انظر هذا الإعراب في: الكشاف، الزمخشري 2/ 5 وأبو حيان البحر المحيط 4/ 423 .

67 – البحر المحيط في التفسير، أبو حيان 4/ 435.

68 – انظر هذه التأويلات في: المحرر الوجيز، ابن عطية 1/ 283 والكشاف الزمخشري 1/ 253 و التسهيل لمعالم التنزيل، ابن جزي 1/ 117.

69 – انظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ط1:، بيروت، دار الفكر، 1401هـ 5/ 235.

70 – وقد أيده الأشموني من بعده، ونص على جواز الوقف عند الغمام، وحكم عليه بأنه وقف كاف لمن رفع الملائكة ويعرب حينها لفظ الملائكة: فاعل لفعل محذوف تقديره وتأتي الملائكة، انظر: منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، أحمد بن عبد الكريم الأشموني، ط: 2، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1393هـ ص 130

71 – ومثاله: ما ورد في آخر البقرة عند قوله تعالى ﴿ وَاعْفُ عَنَّا، وَاغْفِرْ لَنَا، وَارْحَمْنَا﴾ فإنه وقف على كل جملة لبيان الدعاء مع إمكانية الوصل.

72 – ومثاله الوقف على كذبت من سورة يوسف ثم يبتدئ وهو من الصادقين حتى يؤكد الصدق ليوسف والكذب لامرأة العزيز، وذلك في قوله تعالى ﴿وإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ، وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ووقفه في نفس السورة ﴿همت به، وهم بها ﴾ للتفريق بالذي همت به امرأة العزيز والذي كان من يوسف عليه السلام إذ لم يقع منه همٌّ في السوء قط، قال أبو حيان: " وَالَّذِي أَخْتَارُهُ أَنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ هَمٌّ بِهَا الْبَتَّةَ" انظر: البحر المحيط، أبو حيان 6 / 257 .

73 – سعيد أعراب القراء والقراءات بالمغرب ص177.

74 – لا يزال هذا الأمر من اهتمام معلمي القرآن الكريم حتى هذا العصر يذ لّلون للطالب سبل التعامل مع صور المتشابه اللفظي، ويجمعونها في أبيات كي يسهل حفظها وينتبه إليها، وقد وضع العلامة الشيخ الطاهر التليلي كتابه القيم منظومات في المسائل القرآنية لهذا الغرض الجليل حيث يقول في مقدمته: " أقدم بين يدي القارئ الكريم هذه المنظومة التي تتعلق ببعض علوم القرآن ومسائله التي كثيرا ما تدور بين القراء في مجالسهم وتقع فيها المحاورة بين الطلبة والمذاكرة بين الحفظة مثل عدد بعض الآيات وكيفية رسم بعض الكلمات وبيان بعض الشواذ من المتشابهات مما قد يشكل على الطالب المبتدئ ويغفل عنه القارئ المنتهي " انظر: منظومات في مسائل قرآنية، محمد الطاهر التليلي ط:1، الجزائر، دار الأمة 1994م، ص49 .

75 – انظر: المن بالإمامة، تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عصر الموحدين عبد الملك بن صاحب الصلاة، تح عبد الهادي تازي ط:3، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1987م، ص54 .

76 – انظر: منهجية ابن أبي جمعة الهبطي في أوقاف القرآن الكريم، بن حنفية العابدين ص85 والقراء والقراءات بالمغرب، سعيد أعراب ص181.

77 – وهي المدّ: اللازم، والمتصل والمنفصل والبدل، والعارض للسكون.وغيرها من المدود المعروفة في رواية ورش انظر:النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع، إبراهيم المارغني ص 37.

78 – انظر: اختلاف المفسرين أسبابه وضوابطه، أحمد محمد الشرقاوي، بحث منشور في المجلة العلمية لكلية أصول الدين، جامعة الأزهر، العدد السابع عشر، سنة 2004 م.

79 – انظر تفصيل الكلام عن المحكم والمتشابه في: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، لاط، بيروت، دار الفكر، 1425هـ 2/ 299 و التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور لاط، تونس، دار سحنون، دت، 2/ 156.

80 – انظر إعراب الآية في: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور 2/ 165 والبحر المحيط، أبو حيان 3/ 28 .

81 – انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق عبد المحسن التركي، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1427هـ 5/ 25 وانظر أبو حيان: البحر المحيط 3/ 28 والمكتفى للداني ص 195.

82 – انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية 1/ 403.

83 – انظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، ط:1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1419هـ 6/ 171.

84 – البحر المحيط، أبو حيان 8 / 236.

85 – انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، 24/ 555 .

86 – وقد اختار قول بن عباس في هذا الوقف، الإمام الداني و العلامة ابن الأنباري. انظر: المكتفى الداني، ص 429 .و إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، أبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنبا ري، تحقيق محي الدين عبد الرحمان رمضان، لاط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1391هـ ص817.

87– انظر القرطبي الجامع لأحكام القرآن 13/ 195 وإيضاح الوقف والابتداء ابن الأنباري، ص817.

88 – انظر: علم المقاصد الشرعية، نور الدين الخادمي، ط: 1، الرياض، مكتبة العبيكان، 1421هـ ص83 .

89 – انظر: القرطبي الجامع لأحكام القرآن 12/ 178، وروائع البيان تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني ط:3، دمشق، مكتبة الغزالي، بيروت، ومؤسسة مناهل العرفان، 1400هـ 2/ 59.

90 – انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي 12/ 179.

91 – وهي مسألة خلافية عند النحاة وعلماء أصول الفقه، انظر أبو حيان، البحر المحيط 8/ 15 وانظر: شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول، أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي، لاط، بيروت، دار الفكر، 1424 هـ ص 194، 195.

92 – ومنهم الشعبي حيث قال: الاستثناء في الآية من الأحكام الثلاثة، فإذا تاب وظهرت توبته لم يحد وقبلت شهادته وزال عنه التفسيق انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 12/ 179.

93 – ومن أبرزها مصحف المدينة النبوية المطبوع بمجمع الملك فهد انظر المصحف سورة النور ص350.

94 – وهؤلاء يكون الوقف بحسب مذهبهم على:" أبدا"، وممن قال به من السلف: شريح، وسعيد بن جبير، والثوري، والنخعي انظر: القطع والإتناف، النحاس، ص463.

95 – انظر: القطع والإتناف، النحاس، ص 463.

96 – انظر: روائع البيان تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني 2/ 71 .

97 – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 16/255 .

98 – انظر هذه المسألة الأصولية الفقهية في: أحكام القرآن، أبو بكر محمد ابن العربي، تحقيق محمد البجاوي، لاط، بيروت، دار المعرفة، دت، 4/ 1704، وانظر: الذخيرة، القرافي، تحقيق سعيد أعراب، ط:1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م 2/ 528، و أصول الفقه الإسلامي، وهبة الزحيلي، ط: 2، دمشق، دار الفكر المعاصر، 1418هـ 1/ 80، وروائع البيان تفسير آيات الأحكام محمد علي الصابوني 2/ 468.

99 – انظر: منهجية ابن أبي جمعة المبطي في أوقاف القرآن الكريم بن حنفية العابدين ص 136.

HABTI pause in the copy of the Koran of Maghreb

Dris RIMI*

Abstract :

This research aims to demonstrate the efforts of Mohammed bin Abi Jumaa al-Habti in the service of the copy of the Koran of Maghreb in terms of setting the end. This research deals with this personality on which the copies of the Holy Koran in the Islamic Maghreb depend by clarifying the most important knowledge bases and the semantic dimensions associated with these pauses.

Keywords: pause - Ibn Abi Jumaa - copy of the Koran of Maghreb - Knowledge Basis.

* Institute of Islamic Sciences - University of El-oued - Algeria.